٢٤ـ كن من أهل العفو والصفح

اعلم يا بني ويا بنيتي أنه لا يعفو عن الناس ولا يصفح عنهم، إلا من أراد الله تعالى به خيرًا في الدنيا والآخرة.

ولا يعفو ولا يصفح إلا الأقوياء، الواثقين في الله تعالى، والواثقين في أنفسهم.

لا يعفو ولا يصفح إلا من ابتغى عفو الله تعالى وصفحه.

لا يعفو ولا يصفح إلا من طهر قلبه من الأحقاد والضغائن، وكُرْهِ الناس.

لا يعفو ولا يصفح إلا من انشغل بربه وعبادته، عن الانتقام والانتصار لنفسه.

إنَّ العفو والصفح تحقيق لأمر الله تعالى، وانتصار على النفس، لا انتصار لها.

إنَّ العفو والصفح تأس بالنبي ـ ﷺ ـ الذي ملأ حياته بهما.

إنَّ العفو والصفح دأب الصالحين، الذين يتجاوزون بهما كل عقبة قد تؤخرهم عن الله تعالى.

الأمر بالعفو والصفح...

وقد أمر الله تعالى نبيه بالتزام العفو والصفح، وجَعْلهما سلوكًا ومنهجًا لا يحيد عنهما أبدًا ، فقال تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر: ٨٥].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ قَالَ: أُمِرَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ". (١)

وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢].

وقد بيَّن النبي - ﷺ - فضل العفو، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ". (٢)

الفرق بين العفو والصفح...

اعلم يا بني أنَّ هناك من لا يفرق بين العفو والصفح، فتكون كل كلمة مرادفة للأخرى، وهناك من يجعل فارقًا بينهما، قال الشيخ صالح العثيمين في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٩]:

" الصواب أن بين "العفو" و"الصفح" فرقًا فـ "العفو" ترك المؤاخذة على الذنب، و"الصفح" الإعراض عنه، مأخوذ من صفحة العنق، وهو أن الإنسان يلتفت، ولا كأن شيئًا صار يوليه صفحة عنقه. فـ "الصفح" معناه الإعراض عن هذا بالكلية، وكأنه لم يكن، فعلى هذا يكون بينهما

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه مسلم.

فرق. فـ "الصفح" أكمل إذا اقترن بـ "العفو" فالعفو لا تؤاخذه بذنبه، ولكن لا حرج إن بقي في نفسك شيئ أو تذكر له، والصفح تُعرض عن هذا إطلاقًا، ولا كأن شيئًا جرى. فلهذا الصفح أكمل وأكمل إذا اقترن بالعفو".

وقال البيضاوي في تفسير هذه الآية:" العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك تثريبه". (١)

ولهذا يا بني أنصح بأن" إذا سمعت كلمة تغضبك في عرضك فاعف واصفح، فإن ذلك من عزم الأمور.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه". (٢)

وقد حضرعند المنصور" مبارك بن فضالة، وقد أمر برجل أن يُضرب عنقه، وأحضر النطع والسيف، فقال له مبارك: سمعت الحسين يقول: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، قَالُوا. وَمَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللهِ؟ قَالَ: الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا، فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

ثم أخذ يعدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وما صنعه.

وقال الأصمعي: أُتِيَ المنصورُ برجل ليعاقبه فقال: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل، والعفوَ فضل، ونعوذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، وأدنى القسمين، دون أرفع الدرجتين. قال: فعفا

(١) القاضى ناصر الدين البيضاوى / تفسير البيضاوي / القاهرة المطبعة العثمانية ١٣٥٨هـ ١/ ٢٣.

(٢)رسالة المسترشدين ص٥٠.

عنه".[١]

من فوائد العفو والصفح...

أولًا: من فوائد العفو...

١ـ العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.

٢ـ كلاهما دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣ـ كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن الظن.

٤ـ كلاهما يثمر محبة الله عز وجل ثم محبة الناس.

٥ـ العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلل.

٦ـ الغفران دليل على كمال النفس وشرفها.

٧ـ كل من العفو والغفران يهيئ المجتمع والنشئ الصالح لحياة أفضل.

٨ ـ كلاهما طريق نوره هداية لغير المسلمين".[٢]

ثانيًا: من فوائد الصفح...

١ـ الصفح أعمق من العفو، إذ يزيل الله به أثر الضغائن.

٢ـ أمر الله المؤمنين بالصفح حتى عن ألد الأعداء، كي يذوقوا حلاوة الإيمان فيدخلوا فيه.

٣ـ الصفح من مستلزمات الإحسان، والإحسان أعلى درجات الإيمان.

٤ـ الصفح يقوي رابطة التآخي بين أفراد المجتمع، ويجعلهم متحابين متحدين.

(١) البداية والنهاية ٥/ ٦٢١.

(٢)نضرة االنعيم٧/ ٢٩١٠.

٥ـ الأمة التي يتحلى معظم أفرادها بالصفح، تكون أمة سعيدة في الدنيا والآخرة.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء". [١]

(١) نضرة النعيم٦/ ٢٥٣٥.